في جسم الفلك يتحرك ابداً حركة لا نهاية لها ولا انقطاع اذا ار
قديماً لا ابتداء له• فالواجب على ذلك ان تكون القوة التي تحركه ليست
في جسم ولا في جسم خارج عنه فهي اذا لشيء بري عن الاجسام وغير موصوف
بشيء من اوصاف الجسمانية• وكان قد لاح له في عالم الكون والفساد
ان حقيقة وجود كل جسم انما هي من جهة صورته التي هي استعداده
لضروب الحركات وان وجوده الذي من جهة مادته وجود ضعيف
لا يكاد يدرك• فاذا وجود العالم كله انما هو من جهة استعداده
لتحريك هذا المحرك البري عن المادة• ومن صفات الاجسام المنزه عن
كل ما يدركه حس او يتطرق اليه خيال• واذا كان فاعلاً لحركات الفلك
على اختلاف انواعها فعلاً لا تفاوت فيه ولا فتور فهو لا محالة قادر
عليها وعالم بها• فانتهى نظره بهذا الطريق الى ما انتهى بالطريق الاول
ولم يضره في ذلك تشككه في قدم العالم او حدوثه وصح له على الوجهين
جميعاً وجود فاعل غير جسم ولا متصل بجسم ولا منفصل عنه ولا داخل
فيه ولا خارج عنه اذ الاتصال والانفصال والدخول والخروج هي كلها
صفات الاجسام وهو منزه عنها• ولما كانت المادة في كل جسم مفتقرة
لا تستغني عن الصورة اذ لا تقوم الا بها ولا تثبت لها حقيقة دونها
وكانت الصورة لا يصح لها وجود الا من قبل هذا الفاعل• تبين له
جميع الموجودات في وجودها الى هذا الفاعل لانه لا قيام لشيء منها الا به
فهو اذاً علة لها وهي معلولة له سواء كانت محدثة الوجود بعد سبقها

بالعدم او كانت لا ابتداء لها من جهة الزمان ولم يسبقها العدم• فانها على
كلا الحالين معلولة ومفتقرة الى الفاعل ومتعلقة الوجود ولولا دوامه
لم تدم ولولا وجوده لم توجد• ولولا قدمه لم تكن قديمة وهو في ذاته
مستغن عنها وبري منها وكيف لا يكون ذلك• وقد تبرهن ان قوته
وقدرته غير متناهية وان جميع الاجسام وما يتصل بها او يتعلق ولو بعض
تعلق بها متناه منقطع فاذا العالم بما فيه من السموات والارض والكواكب
وما فوقها وما بينهما فعله وخلقه ومتاخرة عنه بالذات• وان كانت غير
متاخرة بالزمان كما انك اذا اخذت في قبضتك جسماً من الاجسام
ثم حركت يدك فان ذلك الجسم لا محالة يتحرك تابعاً لحركة يدك حركة
متاخرة عن حركة يدك تاخراً بالذات• وان كانت لم تتاخر بالزمان
عنها بل كانت ابتداؤهما معاً فكذلك العالم كله معلول ومخلوق لهذا
الفاعل بغير زمان انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون•
فلما رأى ان جميع الموجودات فعله تصفحها من ذي قبل تصفحاً اخر على طريق
الاعتبار في قدرة فاعلها والتعجب من غريب صنعته ولطف حكمته ودقيق
علمه• فتبين له في اقل الاشياء الموجودة فضلاً عن اكثرها من آثار الحكمة
ما قضى به كل العجب• وتحقق عنده ذلك ان هذا كله لا يصدر الا عن
فاعل في غاية الكمال وفوق الكمال لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض• ثم تامل في جميع اصناف الحيوان كيف اعطى كل شيء
خلقه ثم هداه لاستعماله فلولا انه هداه لاستعمال تلك المنافع بالاعضاء

Copyright © King Saud University